

جامعة الانبار
كلية العلوم الإسلامية
قسم التفسير وعلوم القرآن
المرحلة الثانية

المادة: مباحث في علوم القرآن

التدريسي : أ.م.د. هاشم رجب عبد الحكيم

المحاضرة الثامنة : أسباب النزول

- تعريف السبب
- طرق معرفة سبب النزول
- فوائد معرفة سبب النزول

- المصادر المُعْتَمَدَة :

- ١ - البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي (ت: ٧٩٤هـ).
- ٢ - الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ).
- ٣ - مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (ت: ١٣٦٧هـ).
- ٤ - مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان (ت: ١٤٢٠هـ).
- ٥ - محاضرات في علوم القرآن، أبو عبد الله غانم بن قدوري الحمد.

أسباب النزول

تعريف السبب:

وسبب النزول بعد هذا التحقيق يكون قاصراً على أمرين:

١- أن تحدث حادثة فيتنزل القرآن الكريم بشأنها، وذلك كالذي رُوِيَ عن ابن عباس قال: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}.. خرج النبي -صلى الله عليه وسلم- حتى صعد الصفا، فهتف: "يا أصحاباه"، فاجتمعوا إليه، فقال: "أرأيتم لو أخبرتمكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مُصَدِّقِي؟" قالوا: ما جربنا عليك كذباً، قال: "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد"، فقال أبو لهب: تباً لك، إنما جمعنا لهذا؟ ثم قام، فنزلت هذه السورة: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ..}

٢- أن يُسأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن شيء فيتنزل القرآن ببيان الحكم فيه، كالذي كان من خولة بنت ثعلبة عندما ظهر ٤ منها زوجها أوس بن الصامت، فذهبت تشتكي من ذلك، عن عائشة قالت: "تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفي علي بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهي تقول: يا رسول الله، أكل شياي ونثرث له بطني حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني! اللهم إني أشكو إليك، قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا} وهو أوس بن الصامت". ولا يعني هذا أن يلتمس الإنسان لكل آية سبباً، فإن القرآن لم يكن نزوله وفقاً على الحوادث والوقائع، أو على السؤال والاستفسار، بل كان القرآن ينزل ابتداءً، بعقائد الإيمان، وواجبات الإسلام، وشرائع الله تعالى في حياة الفرد وحياة الجماعة.

"ومن المعروف أن القرآن نزل على قسمين: قسم نزل ابتداءً، وقسم نزل عقب واقعة أو

سؤال".... ولذا يُعرَّف سبب النزول بما يأتي:

"هو ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال".

ومن الإفراط في علم سبب النزول أن نتوسع فيه، ونجعل منه ما هو من قبيل الإخبار عن الأحوال الماضية، والوقائع الغابرة، قال السيوطي: "والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه، ليخرج ما ذكره الواحد في تفسيره في سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة، فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء، بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية، كذكر قصة قوم نوح وعاد وثمود وبناء البيت ونحو ذلك، وكذلك ذكره في قوله: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} (النساء: ١٢٥). سبب اتخاذه خليلاً، فليس ذلك من أسباب نزول القرآن كما لا يخفى.

طرق معرفة أسباب النزول:

والعلماء يعتمدون في معرفة سبب النزول على:-

= صحة الرواية عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

= أو صحة الرواية عن الصحابة، فإن إخبار الصحابي عن مثل هذا إذا كان صريحاً لا يكون بالرأي، بل يكون له حكم المرفوع،

قال الواحدي: "لا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها وجدوا في الطلب" وهذا هو نهج علماء السلف، فقد كانوا يتورعون عن أن يقولوا شيئاً في ذلك دون تثبت، قال "محمد بن سيرين": سألت "عبيدة" عن آية من القرآن فقال: اتق الله وقل سداً، ذهب الذين يعلمون فيما أنزل الله من القرآن، وهو يعني الصحابة، وإذا كان هذا هو قول "ابن سيرين" من أعلام علماء التابعين تحريماً للرواية، ودقة في النقل، فإنه يدل على وجوب الوقوف عند أسباب النزول الصحيحة، ولذا فإن المعتمد من ذلك فيما روي من أقوال الصحابة ما كانت صيغته جارية مجرى المسند، بحيث تكون هذه الصيغة جازمة بأنها سبب النزول. وذهب "السيوطي" إلى أن قول التابعي إذا كان صريحاً في سبب النزول فإنه يُقبل، ويكون مُرسلاً، إذا صح المُسند إليه وكان من أئمة التفسير الذين أخذوا عن الصحابة كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير، واعتضد بمرسل آخر.

وقد أخذ "الواحدي" على علماء عصره تساهلهم في رواية سبب النزول، ورماهم بالإفك والكذب، وحذّرهم من الوعيد الشديد، حيث يقول: "أما اليوم فكل أحد يخترع شيئاً، ويختلق إفكاً وكذباً، ملقياً زمامه إلى الجهالة، غير مفكر في الوعيد للجاهل بسبب الآية".

فوائد معرفة سبب النزول

لمعرفة سبب النزول فوائد أهمها:

أ - بيان الحكمة التي دعت إلى تشريع حكم من الأحكام وإدراك مراعاة الشرع للمصالح العامة في علاج الحوادث رحمة بالأمة.

ب - تخصيص حكم ما نزل إن كان بصيغة العموم بالسبب عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ، ويُمثّل لهذا بقوله تعالى: { لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ

يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبْنَهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} ١، فقد رُوِيَ أن مروان قال لبؤابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أوتي وأحب أن يُحمد بما لم يفعل يُعذب لعذبن أجمعون، فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه الآية، إنما نزلت في أهل الكتاب. ثم تلا: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} ٢ ... الآية. قال ابن عباس: سألتهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن شيء فكنتموه إياه وأخذوا بغيره، فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألتهم عنه واستحمدوا بذلك إليه وفرحوا بما أوتوا من كتمان ما سألتهم عنه" ٣.

ج - ومعرفة سبب النزول خير سبيل لفهم معاني القرآن، وكشف الغموض الذي يكتنف بعض الآيات في تفسيرها ما لم يُعرف سبب نزولها، قال الواحدي: "لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها" وقال ابن تيمية: "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"، ومن أمثلة ذلك: ما أشكل على مروان بن الحكم في فهم الآية الآتفة الذكر: {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبْنَهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} حتى أورد له ابن عباس سبب النزول، وهذا واضح في ب اعلا .

د - ويوضح سبب النزول من نزلت فيه الآية حتى لا تُحمل على غيره بدافع الخصومة والتحامل، كالذي ذُكر في قوله تعالى: {وَالَّذِي قَالَ لِيُؤَدِّيهِ أَفٍّ لَكُمْ أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَيُنَازِعَانِ مِنْهُ لِيُؤَدِّيَهُ أَفٍّ لَكُمْ أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي} فردت عليه عائشة وبيّنت له سبب نزولها، "عن يوسف بن ماهك قال: كان مروان على الحجاز، استعمله معاوية بن أبي سفيان، فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه، فقال عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إن هذا أنزل فيه: {وَالَّذِي قَالَ لِيُؤَدِّيهِ أَفٍّ لَكُمْ أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي} فقالت عائشة: "ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذري".... وفي رواية: فقالت: كذب مروان، والله ما هو به، ولو شئت أن أسمى الذي نزلت فيه لسميته"....